المتن:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَع مَسَائِلَ:

المسألة الأُولَى: الْعِلْمُ: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بالأَدِلَّةِ.

المسألة الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ.

المسألة الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

المسألة الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَٱلْعَصْرِ ١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [سورة العصر].

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعَالَى: لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ.

وَقَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى: بَابُ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [سورة محمد، من الآية:19]، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ.

اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ هَذِهِ المَسَائِلِ الثَّلاثِ، والْعَمَلُ بِهِنَّ:

الأُولَى: أَنَّ اللهَ خلقَنا، ورزَقَنا، ولَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رسُولًا، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصاهُ دَخلَ النَّارَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا﴾ [سورة المزمل، من الآية:15-16].

الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللهَ لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لا مَلَكٌ مُقرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ [سورة الجن، من الآية:18].

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، وَوَحَّدَ اللهَ لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [المجادلة:22].

اِعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ، أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ. وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعالَى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات:56]؛ **وَمَعْنَى يَعْبُدُونِ: يُوَحِّدُونِ، وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ. وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْه الشِّركُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ**

غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعَالَى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:35].

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ التِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟

فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الأَصْلُ الأَوَّلُ:

مَعْرِفَةُ الرَّبِّ: فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟

فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الفاتحة، من الآية:2]، وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [سورة فصلت، من الآية:37]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ

وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:54]. **وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:21-22].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى-: الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ.

وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ: الإِسْلامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ، وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلَكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا كُلُّهَا للهِ تَعَالَى.

وَالدَّلِيل: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ [الجن:18]، **فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ؛ وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [سورة المؤمنون، من الآية:117].

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن رسالة [**الأصول الثلاثة**] من المسائل العظيمة التي يجب على كل مسلمٍ ومسلمة الإلمام بها ومعرفتها؛ وذلك لأن الأصول الثلاثة تتحدث عن قضايا مهمة في حياة الإنسان، وبعد موته، وحين بعثه؛ وهي: (**مَنْ رَبُّكَ؟ مَا دِينُكَ؟ مَنْ نَبِيّكَ؟**).

ولا ننسى أن هذه الأسئلة الثلاثة هي التي يُسأل عنها العبد في قبره، كما جاء في الحديث: «**فيأتيه ملكان فيسألانه: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟**» كما في حديث البراء بن عازب، وغيره.

وكذلك يوم القيامة الناس يُسألون: ما كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟ ومن لم يعرف ربَّه، ولم يعرف دينه، ولم يعرف نبيه؛ فإنه لا يستطيع أن يكون مخلصًا في دنياه ولا متبعًا في عمله، ولا عابدًا عبادةً صحيحة.

فينبغي على الإنسان أن يعرف هذه الأصول الثلاثة معرفة تفصيلية حتى يحصل له النجاة؛ فإن النجاة عند الله عَزَّوَجَلَّ إنما يكون بالعلم والعمل، قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة محمد، من الآية:19].

وقد ذكر الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُٱللَّهُ في كتابه [**الأصول الثلاثة**]: التي هي إذا قيل لك: من ربك؟ (**فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي**)؛

فالإنسان يتأمل في هذا المعنى يدرك أن ربه الذي يستحق العبادة هو الذي رباه، ومعنى: (**رَبَّانِي**)؛ أي: خلقني وأوجدني فهو مالكي ومدبر أمري.

(**وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ**)؛ فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ تفضلًا منه وإنعامًا منه ربَّى المخلوقات كلها؛ فهو أوجدها بلا حاجةٍ، وهو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مالكها بلا منازعةٍ، وهو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مدبرُ أمورها وشئونها، وهو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ المتصرِّف فيها.

والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ربَّى جميع العالمين بنعمه؛ ويؤكد هذا ما جاء في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الفاتحة، من الآية:2]، وما جاء في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ في قوله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [سورة النحل، من الآية:53]؛ إذًا.. إذا قيل لنا: من ربك؟ فنقول: ربُّنا الله الذي ربَّانا وربَّى جميع العالمين بنعمه.

وإذا تقرر هذا المعنى لأنه لا يوجد أحدٌ يقول: أنا ربكم إلا الله؛ فهذا أمرٌ لا يُنازعه فيه أحد لا إبليس ولا غير إبليس، حتى فرعون الطاغية الذي نازع في الربوبية نجد أن دعواه الربوبية قاصرة؛ فإنه خاطب أهل مصر، وقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [سورة النازعات، من الآية:24]، ولم يقل: رب السموات والأرض، ولهذا قال له موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما قال له فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [سورة الشعراء، من الآية:23-24]، وقال: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [سورة الشعراء، من الآية:28]، وقال: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[سورة الشعراء، من الآية:26]، لهذا قال الإمام

رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الفاتحة، من الآية:2])؛ إذًا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو معبودنا؛ لأنه هو ربُّنا.

وهذا يؤكد لنا على أن الرب هو الذي يستحق العبادة، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ معبودنا، (وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ)؛ فالعبادة لا نصرفها إلا له سبحانه، والدليل من القرآن: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ فالحمد لله هذا دليل الألوهية، فهو إلهنا استحقاقًا وملكًا، لماذا الحمد لله؟ لأنه رب العالمين، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ ومعنى: الحمد: هو التعظيم والتمجيد والثناء بما يتصف به المحمود سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ رب العالمين جَلَّ وَعَلَا.

وأعظم ما به يستحق الحمد أنه ربُّنا، فربانا وخلقنا من الماء؛ من ماءٍ مهين، وأوجد آبائنا آدم من تراب، وأعطانا العقل، والسمع، والبصر، والفؤاد؛ كل ذلك إنعامًا منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فهو رب العالمين.

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللهِ عَالَمٌ)؛ عالَم بفتح اللام. (وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ)؛ العالَم جمع عوالم، العوالم سميت عوالم باعتبار الأنواع؛ فعالم الإنس نوع، وعالم الجن نوع، وعالم الجماد نوع، وعالم النبات نوع، وسُميت هذه العوالم عالمًا؛ لأنها علامةٌ على خالقها، وموجدها، ومدبرها، والمتصرف فيها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(**وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللهِ عَالَمٌ**)؛ وما دام أن كل ما سوى الله عالم من مَلَكٍ أو مَلِك، من نبي أو رسول، من صالح أو طالح؛ فهم لا يستحقون شيء من الربوبية فضلًا عن الألوهية، لا يستحقون الألوهية فضلًا عن الربوبية.

(**وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ**)؛ فما من عبدٍ إلا وهو واحدٌ من هذه العوالم؛ فإن كان إنسيٍّ فهو من عالم الإنس، إن كان جنيًّا فهو من عالم الجن، فـ لله عليه ربوبية، ولذلك يستحق الله من العبد الألوهية؛ فيجب على الإنسان أن يُظهر التعبُّد والتألُّه لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟**)؛ أي: بأي طريقةٍ عرفت ربك؟ (**فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِه**)؛ معرفة الله عَزَّوَجَلَّ معرفة أنه رب؛ هذا أمر فطري، فإن الأثر يدل على المؤثر، والكون البديع يدل على المبدع، والصنع العجيب يدل على الصانع، وآثار الأقدام تدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج؛ كل ذلك يدل على ربوبية الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

فالإنسان يعرف ربَّه بالنظر إلى المخلوقات، كما أنه إذا سمع الصوت يعلم علم اليقين أنه هناك مصوِّت، وإذا سمع صوت المطرقة يعلم أن هناك طارق، فإذا رأينا العوالم نعلم أن هناك عالمٌ موجدٌ لهذه العوالم وهو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ. هذا أمر عقلي بدهي فطري.

ثم إن الآيات والمخلوقات دالة على ربوبية الله وألوهيته وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والآيات جمع آية، وآيات الله تعالى منقسمة إلى قسمين:

- **آياتٌ كونية:** وهي التي تظهر وتختفي، وتذهب وتجيء مثل: الليل، والنهار، والشمس، والقمر، والنجوم؛ فهذه آيات، فإنها تذهب وتأتي، وتختفي، وتطول وتقصر.

وأما المخلوقات فهي التي أوجدها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ونراها كالسموات، والأرض، والإنسان، والنبات، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُعرف بأنه المعبود بحق، وأنه رب بالنظر إلى الآيات الكونية، وبالنظر إلى المخلوقات.

- **النوع الثاني من أنواع الآيات؛ الآيات المتلوة:** وهي الكتب المنزلة؛ فإنها تدل على ربوبية الله تعالى، فلم يقل أحدٌ: أنا ربكم يا أيها البشر، أو أنا خلقتكم يا أيها البشر، أو أنا أرزقكم يا أيها البشر، لم يقل ذلك إلا ربُّ العالمين. ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة فاطر، من الآية:3].

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنزل الكتب وهذه الآيات تُتلى شاهدة على ربوبيته وألوهيته؛ التوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم، والقرآن الكريم.

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عرفناه بآياته المتلوة، وبآياته المُشاهدة المخلوقة، وعرفنا الله بمخلوقاته، بل إن الإنسان إذا نظر إلى نفسه عرف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال الإمام: (**وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [سورة فصلت، من الآية:37])؛ قال الإمام: (**وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ: السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ، وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ، وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا**)؛ فلا شكَّ أن كل آيةٍ فهي من الآيات الكونية فهي مخلوقة، وأما الآيات المتلوة فهي كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وكل مخلوقٍ آية ولا عكس على مراد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثم ذكر المصنف الأدلة الدالة على ذلك فقال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [سورة الروم، من الآية:22]؛ وذكر أيضًا آياتٍ أخرى، وهي كثيرة جدًا تدل على ربوبية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وألوهيته.

أولم يقل الله سبحانه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [سورة الروم، من الآية:21]؛ قالها قبل ذلك، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الروم، من الآية:21]، وقال قبل ذلك: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾

[سورة الروم، من الآية:20]، وقال بعد ذلك: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [سورة الروم، من الآية:25].

فآيات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ومخلوقات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كلها دالة على أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو المعبود بحقٍّ وحده -جل في علاه-، ومن سواه لا يستحق العبودية البتة، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى المعبود بحق، ومن سواه فهي معبوداتٌ باطلة.

لماذا هي معبودات باطلة؟ لأنها لم تخلق، ولا ترزق، ولا تملك، ولا تُدبر، فكل ما سوى الله مدبَّرٌ مخلوقٌ ومتصرف فيه، ووُجد بعد أن لم يكن، أما الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فهو ربُّ العالمين، ومن سواه هو أحد العوالم التي تكون في العالم السفلي أو العالم العلوي؛ فلا تستحق هذه الأشياء شيئًا من العبادة.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وحده المعبود بحق؛ لأنه جَلَّ وَعَلَا هو الذي خلقنا، فالذي خلق هو الذي يستحق العبادة، ولهذا أورد الإمام محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الرسالة العظيمة قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:21] الآيات.

ثم أورد كلام الحافظ ابن كثير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- الذي فيه أنه قال: (**الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ**)؛ ومن سواه لا يستحق العبادة، ولذلك -أيها الإخوة- الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أردف هذه الأصول الثلاثة بالأدلة الدالة على أن الله وحده المعبود بحق.

فأورد قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن، من الآية:18]؛ وإذا كانت المساجد وهي المعابد، أو المساجد بمعنى العبادات لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فيجب على الإنسان أن يعبد الله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

إذًا الرب هو المعبود، وأما من ليس ربًّا؛ فإنه لا يستحق العبادة كما ذكر الإمام ذلك من قول الحافظ ابن كثير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- صاحب التفسير المعروف الذي قال: (**الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ**).

ثم قال الإمام: (**أَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ: الإِسْلامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ، وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلَكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا كُلِّهَا للهِ تَعَالَى**)؛ إذًا جنس ما هو عبادة لا يستحقه أحدٌ إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ما هو عبادة إذًا لا يستحقه أحدٌ إلا الله، ما هي العبادة؟ العبادة ما أمر الله به، أو أمر به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر إيجابٍ أو أمر استحباب.

وما أمر الله به أمر إيجاب أو استحباب لا يجوز صرفه لغير الله تعالى، ذكر الإمام بعض أنواعها: (**الإِسْلامِ، الإِيمَانِ، الإِحْسَانِ، الدُّعَاءُ**)؛ إلى آخره.

ثم أردف ذلك بالأدلة التي تدل على ذلك كما جاء في ذلك آيات كثيرة تدل على أن الله هو المعبود وحده، كقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات، من الآية:56]؛ فما دام خلقنا لعبادته؛ إذًا العبادة لا تكون إلا له.

﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [سورة الزمر، من الآية:66]، وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [سورة الكوثر، من الآية:2]؛ لذلك المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر أنواع العبادة التي تكون قلبية؛ كالخشية، والخوف، والتوكل، أو تكون ظاهرية؛ كالذكر، والتلاوة، وقراءة القرآن، والتسبيح، أو تكون عملية مثل: الصلاة، والصيام، والزكاة، ونحو ذلك. فكل هذه الأعمال بأنواعها الثلاثة لا تكون إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأن الله قال: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن، من الآية:18]؛ أي لا تعبدوا مع الله أحدًا، وأحدًا نكرة في سياق النهي؛ فيدل ذلك على العموم، أيًّا كان لا يستحق العبادة.

حتى النصارى لما زعموا أن عيسى ابن الله؛ أبطل الله ذلك من وجهين:

- من الوجه الأول: أن ليس لله ابن.
- الوجه الثاني: أن الله ليس معه معبود لذلك قال: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾ [سورة طه، من الآية:14].

والله سبحانه قال: ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة يونس، من الآية:106]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:55].

قال الإمام: (**فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ**)؛ نعم.. الذي يصرف العبادة لغير الله عَزَّوَجَلَّ فيعبد غير الله، يسجد لغير الله عبادة، ويطوف بغير بيت الله عبادةً، ويذبح لغير الله عبادةً، وينذر لغير الله، ويتوكل على غير الله؛ فإنه يكون صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله؛ فيكون مشركًا كافرًا، والأدلة على ذلك كثيرة.

أورد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله تعالى: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [سورة المؤمنون، من الآية:117]. في الأول قال: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾؛ ثم سمى الدعاء عبادة فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾؛ إذًا الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أمرنا أن ندعوه، وأخبر أن دعاء غيره على وجه التعبد شركٌ، وأخبر أن من دعا غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ فإنه يقع في الشرك -عياذًا بالله تعالى-.

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [سورة النساء، من الآية:36]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ

﴿ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [سورة الزمر، من الآية:65]؛ وهذا قاله لخيرة الخلق محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل قال لجميع الأنبياء، قال: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:88].

إذًا ينبغي على الإنسان أن لا يصرف شيئًا من أنواع العبادة لغير الله، لذلك قال المصنف: (**فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ**)؛ ولذلك لا بُدَّ أن الإنسان يحرص على صرف العبادة لله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وأن يحذر من الشرك؛ لأن الله سبحانه يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [سورة النساء، من الآية:48].

ثم ذكر المصنف أنواع العبادات فرضًا فرضًا أهمها وأدلتها، إن شاء الله نرجعها إلى درسٍ قادم إن شاء الله.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.